التأليف في علم آداب البحث والمناظرة

قال ابن خلدون (808) في "المقدمة" تحت (الفصل التاسع في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافيات) : وأما **الجدال**، وهو: **معرفة آداب المناظرة** التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، فإنه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متسعا، وكل واحد من المتناظرَين في الاستدلال والجواب يرسل عِنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول، وكيف يكون حال المستدل والمجيب وحيث يسوغ له أن يكون مستدلا وكيف يكون مخصوما منقطعا، ومحل اعتراضه أو معارضته، وأين يجب عليه السكوت ولخصمه الكلامُ والاستدلال.

ولذلك قيل فيه: إنه معرفةٌ بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يُتوصل بها إلى حفظِ رأيٍ وهدمِه سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره.

وهي **طريقتان**:

1 – **طريقة البزدوي** (482)، وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال.

2 – **وطريقة العميدي** (615)، وهي عامة في كل دليل يُستدل به مِن أي علمٍ كان... وهذا العميدي هو أول مَن كَتب فيها ونُسِبت الطريقةُ إليه، وضع الكتابَ المسمى بـ"الإرشاد" مختصَرا، وتبعه مَن بعدَه مِن المتأخرين كالنسفي وغيره، جاءوا على أثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التآليف(1).

1 – **أما الطريقة الأولى**، طريقة البزدوي، فمَن نُسبت له الطريقةُ هو – كما قال القرشي في "الجواهر المضية" – : علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن مجاهد أبو

(1) المقدمة: 578 – 579

الحسن المعروفُ بفخر الإسلام البزدوي، الفقيه الإمام الكبير بما وراء النهر، صاحب الطريقة على مذهب أبي حنيفة اهـ (2)، **وهو مشهور أيضا بأبي العُسْر، لعسر تصانيفه**، كما أن أخاه مشهورٌ بأبي اليسر، ليسر تصانيفه، كما في "مفتاح السعادة" 2/ 185 (3)، ومن تصانيفه: "المبسوط" كبير، و"شرح الجامع الكبير والجامع الصغير"، و"كنز الوصول" في أصول الفقه، يعرف بأصول البزدوي، قال القرشي: كتاب كبير مشهور ومفيد اهـ، و"تفسير القرآن" كبير جدا(4).

وأما بخصوص من ابتدأ التأليفَ على هذه الطريقة، فقد قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" : وقد صار الجدلُ علما مستقلا، وصُنِّفتْ فيه كتبٌ لا تحصى، وممن صنف فيه الشيخان صاحبا هذه الكتب أبو إسحاق (476)، والغزالي (505)، وكتاباهما معروفان(5)، وأولُ مَن صَنَّف فيه أبو علي الطبري (350)(6).

قال ابن السبكي: الحسين بن القاسم الإمام الجليل أبو علي الطبري صاحب "الإفصاح"، له الوجوه المشهورة في المذهب، وصنف في أصول الفقه وفي الجدل، وصنف "المحرر"، وهو أول كتاب

---

(2) الجواهر المضية في طبقات الحنفية: 1/ 372

(3) هامش سير أعلام النبلاء: 18/ 602

(4) الجواهر المضية: 1/ 372 ، والأعلام: 4/ 28 – 329

(5) كتاب الشيرازي: "المعونة في الجدل"، وقد قال في أوله: لما رأيت حاجة من يتفقه ماسة إلى معرفة ما يُعترض به من الأدلة وما يجاب به عن الاعتراضات، ووجدت ما عملت من "الملخص في الجدل" مبسوطا، صنفت هذه المقدمة، لتكون معونة للمبتدئين وتذكرة للمنتهيين، مجزية في الجدل كافية لأهل النظر. (المعونة: 26)

وكتاب الغزالي: "المنتخل في الجدل"، وقد قال فيه: وكم من عالم وفر حظه من الأصول، على معنى أنه أحاط بمآخذ الأدلة، وظهر تقدمه في الفقه، إذ أحاط بأحكام الشريعة وتفاصيلها، وإذا امتحن في مقام المناظرة وموقف المجادلة، لم يصبر حق الصبر، ولم يحسن الوفاء به على الشرط، فاتضح به أن مقصود الجدل زائد على الفنين، أعني الفقه وأصوله. (المنتخل: 309 – 310)

(6) تهذيب الأسماء واللغات: 3/ 48

صُنِّف في الخلاف المجرد، تفقه على أبي علي بن أبي هريرة، وسكن بغداد وتوفي بها سنة خمسين وثلاثمائة(7).

وقال ابن خَلِّكان: صنف كتاب "المحرر" في النظر، وهو أول كتاب صنف في الخلاف المجرد، وصنف أيضا كتاب "الإفصاح" في الفقه، وكتاب "العدة" وهو كبير يدخل في عشرة أجزاء، وصنف كتابا في الجدل، وكتابا في أصول الفقه(8).

قلت: وصنف على هذه الطريقة أيضا: أبو الوليد الباجي (474) تلميذ أبي إسحاق "المنهاج في ترتيب الحِجاج"، وإمام الحرمين (478) "الكافية في الجدل"، وأبو الوفاء ابن عقيل (513) "الجدل على طريقة الفقهاء"، والطوفي (716) "عَلَم الجَذَل في علم الجدل"، وبرهان الدين النَّسَفي (687) "الفصول"، وتعرف بـ"المقدمة البرهانية" - وهي التي وَضع عليها ابنُ تيمية كتابَه "تنبيه الرجل العاقل" -، قال حاجي خليفة: وعليها شروح، أحسنها: لشمس الدين محمد السمرقندي (690)، صاحب: "الصحائف"... وسماه: "مفتاح النظر"... وشرَحها: المصنِّفُ أيضا(9). والشارح السمرقندي هو صاحب "الآداب" التي يجيء ذكرها.

وقد وقع لطاشكبري زاده في "مفتاح السعادة" ما يخالف ما ذكره النووي في شأن الأولية في التأليف على هذه الطريقة، حيث قال: اعلم أن أول مَن صنف الجدلَ الحسنَ مِن الفقهاء: أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي الشافعي(365)، إمامُ عصره بلا مدافعة، كان فقيها محدثا أصوليا لغويا شاعرا، لم يكن بما وراء النهر للشافعيين مثلُه في وقته. رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور، وسار ذكره في البلاد، وأخذ الفقه عن ابن سريج، وله مصنفات كثيرة في

---

(7) طبقات الشافعية الكبرى: 3/ 280

(8) وفيات الأعيان: 2/ 76

(9) كشف الظنون: 2/ 1803 ، وانظر أيضا: 2/ 1798 منه.

الجدل وأصول الفقه، وعنه انتشر مذهبُ الشافعي في بلاده. روى عن محمد بن جرير الطبري وأقرانه، وروى عنه الحاكم وأبو عبد الله بن منده وأبو عبد الرحمن السلمي وجماعة كثيرة(10).

2 – **وأما الطريقة الثانية**، فمنسوبة للعميدي كما قال ابن خلدون، لافتتاحِه التأليفَ فيها.

قال ابن خلكان: العميدي أبو حامد محمد بن محمد بن محمد – وقيل: أحمد – العميدي، الفقيه الحنفي المذهب، السمرقندي، الملقب "ركن الدين"، كان إماما في فن الخلاف، خصوصا الجَسْت(11)، وهو أولُ من أفرده بالتصنيف، ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين... وصنف العميدي في هذا الفن طريقة، وهي مشهورةٌ بأيدي الفقهاء، وصنف "الإرشاد"، واعتنى بشرحها جماعةٌ من أرباب هذا الشأن(12).

وقال الذهبي: العلامة، سيف النظر، ركن الدين، أبو حامد محمد – أو أحمد – بن محمد بن محمد السمرقندي، العميدي، الحنفي، مصنِّف كتاب "الجست"(13). كان بارعا في الخلاف، له طريقة مشهورة في المباحثة(14).

وقال أيضا: وصنف العميدي "جسته" المشهور، وكتاب "الإرشاد"، واعتنى بشرحه جماعة، منهم: القاضي شمس الدين أحمد الخوئي، والبدر المَراغي الطويل، وأوحد الدين الدُّوني، ونجم الدين ابن المَرَندي(15).

---

(10) مفتاح السعادة ومصباح السيادة: 1/ 282

(11) ضبطها إحسان عباس بفتح الجيم وكتب على هذا الموضع: الجست: لفظة فارسية معناها البحث، وقد أصبحت تطلق على نوع من فروع الخلاف، وقد جاءت الجيم مضمومة في "المختار".

(12) وفيات الأعيان: 4/ 257

(13) ضبطها مَن حقق هذا الجزءَ من "سير النبلاء" بضم الجيم.

(14) سير أعلام النبلاء: 22/ 97 – 98

(15) السابق: 22/ 77

ومن التآليف المشهورة على هذه الطريقة:

[1] – (آداب السَّمَرْقَنْدي) (690)

محمد بن أشرف الحسيني السمرقندي، شمس الدين، قال في صدرها: هذه رسالة في آداب البحث... وهي وإن كانت متداولةً بين المحققين، لكنها ما كانت منظومةً في سلك، ولا مجموعةً في عِقد، أردت نظمَ منثورها وجمع مأثورها. اهـ .

قال طاشْكُبْرِي زاده: وهذه الرسالة أشهرُ كتب هذا الفن(16).

قال حاجي خليفة: وعليها شروح: أشهرُها: شرح المحقق كمال الدين مسعود الشرواني، ويقال له "الرومي"، تلميذ شاه فتح الله، وهما من رجال القرن التاسع، وهو شرح لطيف ممزوج بالمتن ممتاز عنه بالخط فوقه. وعلى هذا الشرح حواش وتعليقات، أجلها: حاشية العلامة جلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدواني، المتوفى سنة ثمان وتسعمائة... وأدقها حاشية المحقق عصام الدين إبراهيم بن محمد الأسفرايني، المتوفى بسمرقند سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة... ومن حواشي "شرح المسعود" : حاشية أبي الفتح السعيدي(17)... ومن شروح المتن أيضا: شرح الفاضل علاء الدين أبي العلاء محمد بن أحمد البُهُشْتِي الأسفرايني، المعروف بفخر خراسان، المتوفى 749 ، سماه "المآب في شرح الآداب" ... وهو: شرح بالقول... وشرح قطب الدين محمد الكيلاني، وهو شرح بقال أقول... كتبه: 891(18).

---

(16) مفتاح السعادة: 1/ 280

(17) المتوفى: سنة 950 خمسين وتسعمائة تقريبا. (كشف الظنون: 1/ 516)

(18) كشف الظنون

[2] – (آداب عضد الدين الإيجي) (756)

من شروحها: شرح منلا حنفي محمد شمس الدين التبريزي، المعروف بمنلا حنفي، المتوفى ببخارى سنة 900 تسعمائة(19)، قال حاجي خليفة: وهو شرحٌ لطيف ممزوج(20).

وقد كتب عليه حاشيةً أبو الفتح السعيدي.

ولمحمد بن علي الصبان (1206) حاشية عليه.

وذكر حاجي خليفة من الشروح عليها: شرح العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، المتوفى سنة ست عشرة وثمانمائة، وهو تعليقة على المتن، قال الحنفي في آخر شرحه: اعلم أن الحواشي المنسوبة إلى المحقق الشريف، لما لاحظتها في نسخ متعددة، فوجدت بعضها سقيما، ولم يبق اعتماد عليها، لم ألتزم نقلها. انتهى(21).

ومن شراح "الآداب العضدية" : عصام الدين إبراهيم بن محمد الأسفراييني، المتوفى سنة 943(22).

ولعبد الحي اللكنوي (1304) عليها شرح سماه "الهدية المختارية شرح الرسالة العضدية"، قال في أوله: إن علم المناظرة علمٌ مَن أوتيه فقد أوتي خيرا كثيرا، ومن لم يتبصر فيه لم يجد ظهيرا ولا نصيرا . اهـ .

[3] – (آداب الشريف الجرجاني) (816)

عليها شرح لعبد الرشيد بن مصطفى شمس الحق الجونفوري (1083) ، فاضل حنفي هندي(23)، ويعرف شرحه بـ"الرشيدية".

---

(19) هدية العارفين: 2/ 218

(20) كشف الظنون

(21) السابق

(22) السابق

وعلى "الرشيدية" حاشية للقاضي الأحمد نكري صاحب "دستور العلماء"، قال في "نزهة الخواطر" : لم نعثر على سنة وفاته، وقد تم تأليف كتابه "دستور العلماء" في سنة 1183 (24).

[4] – (آداب طاشْكُبْري زَادَهْ) (968)

أحمد بن مصطفى بن خليل، أبو الخير، عصام الدين، طاشكبري زاده. ولد في بروسة، ونشأ في أنقرة، وتأدب وتفقه، وتنقل في البلاد التركية مدرسا للفقه والحديث وعلوم العربية. وولي القضاء بالقسطنطينية سنة 958هـ ، فرَمِدَ وكُف بصره سنة 961 (25).

قال حاجي خليفة: وله: شرحه أيضا، وهو: جامع لمهمات هذا الفن، مفيد جدا(26).

[5] – (آداب ساجقلي زاده) (1145)

محمد بن أبي بكر المرعشي، المعروف بـ**"ساجقلي زاده"**، فقيه حنفي، مشارك في معارف عصره، من أهل مرعش(27).

واسم كتابه "الولدية"، قال في صدرها: هذه رسالة في فن المناظرة، عملتها لك يا ولد، ولأمثالك المبتدئين، بارك الله فيها لك ولمن أرادها غيرك، وهذا الفن لا شك في استحباب تحصيله، وإنما الشكُّ في وجوبه كفاية. اهـ .

ولساجقلي زاده كتاب في آداب البحث أوسعُ من "الولدية"، وهو "تقرير القوانين المتداولة من علم المناظرة".

---

(23) الأعلام: 3/ 353

(24) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر لعبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي: 6/ 759

(25) الأعلام: 1/ 257

(26) كشف الظنون

(27) الأعلام: 6/ 60

قال في "ترتيب العلوم" : وعامة طلبة زماننا يشتغلون بالشروح والحواشي من نُسَخ هذا الفن مدةً مديدة ولا يحصلون من بضاعة، وذلك لعدم إفرادهم المتنَ بالدرس، ولم أصادف في هذا الفن متنا جامعا يقرب إلى الفهم. والبائس الفقير جمع عامة مسائله في رسالة سماها "تقرير قوانين المناظرة"، ثم اختصرها واقتصر على الأهم منها في رسالة سماها "ولدية". اهـ .

وعلى "الولدية" شرح مشهور لعبد الوهاب الآمدي المتوفى بعد سنة (1190) ، نحوي منطقي بياني، أصلُه من ديار بكر في تركيا(28).

وقد كتب الشيخ حسن العطار (1250) على "الولدية" حاشيتين، ذكر ذلك في إجازته للشيخ حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، والِدِ مصنِّفِ كتاب "حلية البشر"(29).

[6] - (آداب الكَلَنْبَوِي) (1205)

إسماعيل بن مصطفى بن محمود، أبو الفتح، الكلنبوي الرومي، **ويعرف بشيخ زاده**، قاض حنفي عثماني، اشتهر بالرياضيات والمنطق. نسبته إلى بلدة (كلنبة) من ولاية (آيدين)، ووفاته في تسالية (من يني شهر)، وكان قاضيا فيها(30).

ومن شروحها: شرح **حسن باشا زاده** (1194)، محمد سعيد بن صدر الوزراء حسن باشا الرومي، فقيه حنفي، من علماء الدولة العثمانية، كان قاضيا باستنبول، سماه "فتح الوهاب في شرح رسالة الآداب"(31).

وعليها حاشيةٌ للملا عبد الرحمن البِنْجَوِيني (1319) ، وأخرى لابن القَرَداغي (1355).

---

(28) مقدمة شرح الولدية ت عبد الحميد العيساوي: 10

(29) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي: 492

(30) الأعلام: 1/ 327

(31) هدية العارفين: 2/ 343 ، والأعلام: 6/ 140